العلاج الطبى القديم فى الصين

تضاربت الأقوال عن تاريخ أول دستور للأدوية فى الصين وهو الذى يطلق عليه اسم (بن تساو) أى مجموعة الأعشاب . ذكر البعض أن كتابته كانت قبل مولد المسيح بألفى عام . وقيل إن إمبراطور الصين (شين نونج) هو الذى كشف عن عدد كبير من العقاقير النباتية والسموم وجمعها فى هذه المجموعة النباتية الكبرى . وكان عددها ثلثمائة وخمسة وستين عقاراً طبياً تمثل أيام السنة الشمسية مقسمة إلى ثلاث طبقات . الطبقة العليا من مائة وعشرين عقاراً تمثل (إكسير الحياة) والمائة والعشرون الوسطى لحفظ الصحة . أما المائة وخمسة وعشرون الباقية فللعلاج من الأمراض .

ويذكر الكتاب خواص كل من تلك الأعشاب وأين تنمو وكيف ومتى تجمع وطريقة تحضير الدواء منها . ومما ذكره من تلك العقاقير الأفيون والجنسنج والقنب وخانق الذئب والقرطم والراوند والقرفة وجوز الطيب . وأملاح معدنية كأملاح الزرنيخ والحديد والنحاس والزئبق والكبريت . ووصف العلاج بالأشباه . أى أن مرض عضو فى الجسم يعالج بجزء من نبات أو حيوان مماثل له أو شبيه به .

واستخلصوا المواد الفعالة بغلى النباتات ثم تركيز محاليلها وإعداد أنواع من النبيذ تخلط بالأدوية وخاصة النبيذ المخدر . كما كانت الحبوب المحتوية على الأعشاب والمعادن من الأدوية التى تعاطاها مرضاهم .

ومن بين عقاقيرهم ما وصل إليهم من بلاد العرب كالترياق الذى كان الأفيون من أهم المواد التى يضعونها فيه .

وتقدم لنا طرق العلاج فى الصين مثلا رائعاً لتأثير العقيدة الدينية على الطب إذ كان للفلسفة الكونفوشيوسية أثر كبير على معتقداتهم فى الطب . فكان يوجد توازن بين العنصر (يانج) المذكر و (ين) المؤنث إذا كان المرء يتمتع بصحته . فإذا اختل ذلك التوازن أصيب بالمرض . وإن الإنسان مثل الكون المركب من خمسة عناصر وهى الخشب والنار والأرض والمعدن والماء ويقابل هذا فى الإنسان خمس وهى الأحشاء والحواس والألوان . . . وكل منها خمس . وكانت وصفاتهم الطبية تحتوى على خمسة عقاقير تؤخذ على خمس مرات .

اليابان :

كشفت الآثار التى عثر عليها فى مدينة (نارا) فى اليابان عن كثير من العقاقير الطبية والأوانى والأدوات التى استعملوها فى طبهم . ومن بين الستين عقاراً التى وجدت عدد ليس بالقليل انتقل إليها من بلاد الفرس والصين وكذلك ظهر اهتمامهم بالنظام الغذائى وبالبحث عن إكسير الحياة .

اليونان وأمجادها الطبية

مضى نحو ألف عام بين حضارة المصريين أيام الفراعنة وبين ازدهار حضارة اليونان فى القرن الخامس قبل الميلاد وظهر فى خلال تلك الفترة حضارات أخرى عظيمة مثل الحضارة المينية فى جزيرة كريت وطروادة وغيرها اندثرت ولم يبق إلا القليل من آثارها .

وفى آسيا الصغرى بدأت حضارة الإغريق فى الظهور منذ القرن السابع قبل الميلاد وأسست أول مدرسة فى الطب فى (كنيدوس) ثم فى (قوس) المدينة التى ولد فيها وعاش أبقراط الملقب (بأبى الطب) وعلا

شأنها فى الطب والعلاج .

امتلأت أشعار هومير فى الإلياذة والأوديسة بصور حياتهم ومعتقداتهم وخرافاتهم وكيف كانوا يمارسون الطب وأنهم من مصر أخذوا كثيراً من معارفهم « والحقيقة أن كل شىء كان يأتى إلى اليونان من مصر » . كان اليونانيون فلاسفة ومفكرين وطلاب علم عباقرة فأخذوا من الطب المصرى القديم ما رأوه صالحاً وابتعدوا ما أمكنهم عن طقوس السحر والدين فى علاجهم . وإن كان للطب الدينى شأن كبير فى معابد إسكولاب إله الطب .

ومن آراء فلاسفتهم وأطبائهم نظريات صحيحة وأخرى خاطئة . كان أرسطو يعلم أن القلب مركز الأعصاب فى الجسم وأنه عضو مقدس نبيل لا تصيبه الأمراض مطلقاً . لذلك ابتعدوا عن دراسته وجهلوا حقيقته .

وقالوا بالطبائع الأربعة التى تتوقف على سلامتها صحة الإنسان وهى الدم والبلغم والمرارة السوداء والمرارة الصفراء . فإذا زادت أو قلت كمية إحداها دل ذلك على المرض .

معابد وإسكولاب العلاج النفسى

كان اسم إسكولاب هو أول اسم طبى عرف فى اليونان . ثم أقاموا له المعابد على سفوح الجبال المحاطة بالغابات تمر بها جداول المياه وجعلوا منها مستشفيات روحية يهرع إليها المرضى من الرجال والنساء والميئوس من شفائهم كالعمى والمصابين بالشلل أو الصرع أو غيرهم من الباحثين عن معجزة إلهية ترد عليهم صحتهم .

وصنعوا تماثيل لإسكولاب تصوره كرجل فى عنفوان شبابه وممتلئ صحة وقابض بيديه على عصا يلتف عليها ثعبان . وبقى الثعبان الملتف على العصا رمزاً للصيدلة والصيدليات حتى اليوم . كانت الثعابين عند الإغريق رمزاً للحياة والحكمة والشفاء . وامتلأت بهم معابدهم .

وينام المرضى فى قاعات فسيحة فى المعبد وسط الهدوء الشامل ، ويعنى الكهنة بشؤونهم أكبر عناية يتلون الصلوات والأناشيد ويفسرون لهم الأحلام ، ولا مانع من استعمال عقاقير من أعشاب مغلية أو مذابة فى النبيذ أو ممزوجة بالعسل . وقد تفيدهم مياه الينابيع التى عرفت فائدتها الطبية بعد نحو ألفى عام لاحتوائها على أملاح معدنية ، أو يمارسون تدليك أجسامهم بدهانات وزيوت أو يضمدون جراحاتهم ويضعون الجبائر على كسورهم . . .

وكان أغلب العقاقير من النباتات التى يجمعها العشابون وجامعو الجذور والتزموا بقواعد خاصة لاقتلاعها من الأرض فكان بعضها يجمع فى الظلام أو أول الشهر القمرى أو آخره أو يرددون تعاويذ أو أناشيد خاصة .

ومن بين الأعشاب الطبية كثير ما زال يستعمل حتى اليوم . وكان الثوم والأفيون هما العقارين اللذين أهدتهما الآلهة المصرية إلى هيلين لتخفيف آلامها ومساعدتها على النوم كما ذكر هوميروس . . .

وانتشرت بين اليونانيين خرافات كثيرة إلى جانب طبهم الديني في المعابد . فقد كان رقم سبعة مقدساً عندهم . هناك سبع عجائب في العالم . وسبعة أعمار للإنسان . وسبع سماوات وسبعة أبواب للجحيم وسبعة كواكب وإن الكواكب آلهة تؤثر في حياة الأفراد والشعوب وأخلاقها وانتشر أيضاً علم التنجيم .

أبقراط (أبو الطب التجريبي) :

ولد أبقراط أعظم أطباء اليونان القدماء بل العالم المعروف في عام ٤٠٠ قبل الميلاد في جزيرة (قوس) .

ويعود سر عظمته إلى نبل أخلاقه وإلى الكثير من وسائل العلاج التي بناها على أسس علمية تجريبية بعد أن كان أكثر الطب في معابد إسكولاب . والكتب الكثيرة التي ألفها أو جمعها تلاميذه في موسوعات أهمها المجموعة البقراطية وتشخيص الأعراض والأوبئة والتسنين والحكم والقسم — ترجمت إلى لغات العالم وإن كان للنساطرة والعرب الفضل الأكبر في ترجمتها وحفظها عبر الأجيال .

لم يكن أبقراط من محبذي العلاج في المعابد وهو وإن كان يؤمن بالتأثير النفسي على سرعة الشفاء فإنه كان يعتقد أنه إذا عرفت أسباب المرض أمكن علاجه ، وكان يؤمن بنظرية الطبائع الأربعة وأن المرض يحدث نتيجة نقص أو زيادة أحد العناصر الأربعة . وأن وسيلة العلاج المقيئات والحقن الشرجية أو الفصد . ولم يكن ليستعمل العقاقير إلا بعد

أن يتأكد أنها الوسيلة الوحيدة بعد أن يترك الفرصة للطبيعة أن تعمل بنفسها على استرداد المريض لصحته . كان بقراط طبيباً وجراحاً وبرع فى الجراحات ورد المفاصل المخلوعة وعلاج الكسور .

وهو إلى ذلك كله كان صيدلياً . ففى عهده والعصور التالية له كان المرضى يأتون إلى دور الشفاء التى أطلقوا عليها اسم (ياتريون) وتتكون من عيادة للكشف على المرضى ومعمل لتحضير العقاقير من جرعات ومراهم وحقن شرجية . أما إذا حمل المريض دواءه معه إلى منزله فكان يوضع فى غلاف مختوم بخاتم الطبيب الصيدلى .

قسم أبقراط العقاقير إلى أدوية تستعمل من الظاهر كالمكمدات والزيوت والمراهم وأخرى يتناولها المريض منها السائل مثل الأعشاب المغلية يتجرعها مع العسل أو النبيذ أو على صورة حبوب أو قطرات للعين وهى على هيئة قلم صغير تمس به العين أو لبوسات أو غيرها . . .

كان أبقراط يستعمل فى علاجه أكثر من مائتين وثلاثين من العقاقير والأعشاب ذكرت فى المجموعة البقراطية .

وأهم من ذلك كله حكمة بقراط وإنسانيته التى خلدها الدهر لهذا الطبيب المثالى صاحب القسم الذى يردده الأطباء فى أنحاء كثيرة من العالم قبل ممارسة مهنة الطب وغيرها من المهن الطبية ومن نصائحه :

« أحثك على أن تكون كريماً وأن تقدر ظروف المريض . فلتكن خدماتك أحياناً دون مقابل : . . وإذا أتيحت لك الفرصة لإغاثة الغريب فى مأزق مالى فقدم له المعونة . لأنه حيث يوجد حب الإنسان للإنسان يكون أيضاً الحب الحقيقى لفن الطب » .

تيوفراست (عالم النبات والأعشاب الطبية) : .

عاش تيوفراست الطبيب والفيلسوف وعالم النبات العظيم قبل الميلاد

بثلثمائة عام تقريباً . ولم يكن ليطلق عليه فقط اسم (أبي النباتات) لأعماله ودراساته عن النباتات بل سمى أيضاً (أبا الأقرباذين) للجهود الرائعة والدراسات القيمة التى قام بها للتعريف بخواص الأعشاب الطبية . وترك كتباً عن النباتات ووصف جميع الأشجار والشجيرات والأعشاب والحشائش. ودراسة جذورها وسوقها وأوراقها وأزهارها وثمارها وبذورها. وشرح خواص النبات وصفاتها الأقرباذينية لعلاج شتى الأمراض المعروفة حينذاك . وكان من بينها العقاقير المهدئة والمخدرة والتى تيسر الولادة أو تخفف آلام الوضع .

الطب والصيدلة فى الإسكندرية

أنشأ الإسكندر الأكبر ميناء الإسكندرية ومات عام ٣٢٣ قبل الميلاد وقد خلفه بطليموس سوتر مؤسس أسرة البطالمة التى حكمت مصر نحو ثلثمائة عام . واستعانت بعدد من العلماء اليونانيين ومهندسى المعمار فيها ليجعلوا من المدينة الجديدة مدينة ذات حضارة عظيمة ومركزاً للعلوم والفنون وأسسوا المتحف والمكتبة المشهورين اللذين حملا مشعل العلوم فترة طويلة من الزمن . إذ لم يكن المتحف مبنى بالمعنى المعروف له لحفظ الآثار بل كان معهداً للدراسات العلمية والبحوث بفضل (ستراتون) الذى كان تلميذاً لتيوفراست عالم النبات اليونانى . كان بمثابة جامعة يؤمه الطلبة الذين قدّر عددهم فى وقت ما بأربعة عشر ألف طالب يتلقون المحاضرات من أساتذتهم فى مختلف العلوم والفنون فى معامل للكيمياء والطبيعة ومراصد وقاعات فسيحة لتعليم الطب والتشريح الذى كان يشتمل على تشريح الحيوانات والإنسان وسمحوا بتشريح أجسام المجرمين المحكوم عليهم بالإعدام وهم أحياء .

وفى حدائقها مئات الأنواع من الأعشاب والنباتات .

وقد رحبت جامعة الإسكندرية بهؤلاء الأساتذة والعلماء والطلبة وهيأت لهم مساكن يقيمون بها .

احتكر البطالمة صناعة ورق البردى وكان أداة ثمينة فى أيديهم لتسجيل العلوم القديمة والحديثة يجعلون منها صوراً متعددة يبيعونها إلى المكتبات الأوربية الموجودة حينذاك .

وكان من بينها مجموعة أبقراط وطب قدماء المصريين وكل ما وقع

تحت أيديهم من فلسفة وعلم وأدب وتاريخ حتى قيل إن مكتبة الإسكندرية جمعت فى وقت من الأوقات ثلاثة أرباع مليون بردية مكتوبة .

فى هذا المتحف أو الجامعة الإسكندرية ظهر علم السيمياء أو الكيمياء القديمة لأول مرة فى التاريخ . كان الغرض الرئيسى منه الحصول عن طريق التجارب الكيماوية على الذهب والمعادن النفيسة من الرصاص . كما أنهم حاولوا العثور على ما سموه (المذيب العالمى) الذى يذيب كل مادة أو معدن فى الوجود . لم يعرف شىء عن المواد التى أجروا عليها تجاربهم للحصول على هذا المذيب العالمى . إذ أنه بالرغم مما كشف عن عمليات الإذابة والغليان والتقطير والترشيح والتصعيد والتنقية وغيرها وتصميم الأجهزة التى قام هؤلاء السيماويون الأوائل باختراعها وتركيبها فإنهم احتفظوا بعملياتهم الكيماوية سراً وكثيراً ما كانوا يكتبون تحضيراتهم السرية فى صورة ألغاز مبهمة لا يتاح لغيرهم تفسيرها أو الكشف عنها بل قد يحدث أحياناً أنهم هم أنفسهم كانوا ينسون مفتاح تلك الألغاز بعد فترة من الوقت .

ولم ينفق السيماويون كل وقتهم وجهودهم فى البحث فقط عن حجر الفلاسفة بتحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب . بل اتجهوا أيضاً إلى البحث عن عقاقير تحفظ عليهم صحتهم . والعباقرة العلماء الذين بحثوا عن الحقيقة كشفوا عن أن وظائف جسم الإنسان وصحته إن هى إلا نتيجة تفاعلات كيماوية طبيعية داخل الجسم ولذلك بحثوا عن طريق التفاعلات الكيماوية عن علاج واحد لجميع الأمراض والعلل الإنسانية . بل أملوا حياة طويلة خالية من الأمراض قد تمنحهم الخلود على الأرض وسموه (إكسير الحياة) .

كانت بحوثاً بدائية ولكنها كانت أول خطوة أعقبتها جهود العرب الرائعة التى وصلت بالعالم إلى معجزات الكيمياء فى العصور الحديثة .

وفى إسكندرية البطالمة عرف كثير من الصفات الطبية لأعشاب ونباتات كثيرة وصفات المعادن وأجزاء الحيوانات .

وكتب (نيكاندر) أحد أطباء جامعة الإسكندرية القديمة قصيدتين شعريتين إحداهما وهى (الألكسيفارما) عن العقاقير الطبية ودراسة للسموم النباتية والحيوانية والمعدنية ومضاداتها الشافية و (الترياق) وهو أيضاً عن علاج السموم بالترياق الذى أصبح له شأن عظيم فى عالم الطب والصيدلة عند العرب ثم فى أوربا خلال العصور الوسطى .

وذكر المؤرخ بلوتارك أن (فيلوميتر) ملك برجامون كان يزرع النباتات الطبية المخدرة والسامة فى حدائقه ويشرف بنفسه على جمع أعشابها وثمارها بنفسه وتجربة أثرها على الإنسان والحيوان .

ميثريدات :

ملك بنتوس . درس خواص السموم وأثر الكميات الصغيرة منها والحصانة التى تعطيها للجسم إذا زيدت تدريجياً . وكان يجرى التجارب على نفسه وأقاربه أو المجرمين المحكوم عليهم ويسجل مذكرات بملاحظاته .

وذاع صيت الترياق الذى أعده (ميثريدات) وسمى (ترياق ميثريدات) أو الترياق العالمى ، وهو مركب من مجموعة كبيرة قد تبلغ المئات من العقاقير البسيطة وسموم الثعابين يمزجها بدم البط . وأصبح أهم وأثمن عقار يباع فى الصيدليات .

كان هناك أيضاً كثير من العشابين وجامعى الجذور الذين لا تحتاج مهنتهم إلى علم أو دراسة . كما كان يساعد الصيدلى والطبيب فى عملية تحضير العقاقير طهاة وصانعو المراهم والجبائر واللبخات والذين يقومون بعمل الحجامة والفصد . . .

الطب الرومانى

انتقلت الحضارة من الإسكندرية إلى روما . وقد عرفت طب معابد إسكولاب اليونانى حتى عام ٢٢٠ قبل الميلاد حين ظهر (أركاجاتوس) الذى عرف بعقاقيره وطرق علاجه القاسية .

كان هناك أطباء ولكنهم من طبقة الرقيق إذ كانوا لا يحبون الأطباء اليونانيين ويفضلون عليهم الأرقاء والعشابين الجهلة والسحرة والدجالين واشتهر من حكام روما (كاتو) الملقب بالرقيب وجعل نفسه طبيباً لأسرته ولشعبه . والغريب أنه عاش إلى ما بعد الثمانين فى صحة جيدة . كان يعالج كل الأمراض بالكرنب فيضع أوراقها على الجروح والقروح والأورام أو يتعاطاها المرضى مع قليل من النبيذ . وهو يردد أن لا حاجة إلى الأطباء حيث تكثر زراعة نبات الكرنب. ومن وصفاته الطريفة : « يسخن بول شخص يأكل كميات كبيرة من الكرنب . ثم يوضع هذا البول على الجزء المريض . وإذا اغتسل الأطفال الصغار به فإنهم لن يصابوا أبداً بالهزال والضعف » .

وتروى القصة التالية عن الطبيب الإغريقى (إسكلبياد) وهو اسم قريب الشبه باسم إله الطب الإغريقى (إسكولاب) . فقد مرّ يوماً بجنازة فى طريقها إلى المقابر . وإذا به يضع يده على جسم الميت فى صندوقه بحركة لا شعورية دفعته إليها طبيعة مهنته ولم يلاحظ أحد من المشيعين ما فعل . ولشدة دهشته كانت تلك اللمسة السريعة كافية لأن يتأكد بأنه ما زال ينبض بالحياة . سار « إسكلبياد » بين المشيعين حتى باب القبر وإذا به يصرخ قائلا : « أنا إسكلبياد الطبيب . لا تدفنوا الميت فهو حى . أسرعوا بإعادته إلى المنزل » ... ثار القوم وغضبوا أول الأمر ولكنهم

أذعنوا أخيراً . وفى المنزل أجرى له تنفساً صناعيا وسقاه شراباً منعشاً وإذا بالميت يتحرك ويعود إلى الحياة . . .

كان للمعجزة التى قام بها الطبيب إسكلبياد أثرها فى شعب روما الذى تدفق على عيادته وكان قبل ذلك الطبيب المغمور . واطمأنوا منذ ذلك اليوم إلى علاج أطباء اليونان . وتقدم الطب وتخصصوا فى الأمراض المختلفة فى الجراحة وأمراض العين والأذن . وكانت العقاقير يصنعها الأطباء الصيادلة ويحتفظون بسريتها ويبيعونها بأغلى الأثمان . كانت قطرات العيون توضع فى أوعية صغيرة دقيقة الصنع مختومة بخاتم الطبيب الصيدلى المسؤول عن إعدادها ويكتب على الوعاء من الخارج أسماء العقاقير الموجودة فى تركيبه . وكانوا يبيعون فى الصيدليات التى تسمى عندهم الخان الطبى Taleme Medica عقاقير من الأعشاب والأملاح المعدنية وأجزاء الحيوان . من بين النباتات البيروح والأتروبين والأفيون والفاليريان تستعمل فى التخدير أو تساعد على النوم .

وحلوى ذات رائحة عطرية تستحلب لتطهير الفم . وكان لمساحيق الوجه وأدهنته والأقنعة والزيوت والمعاجين للتجميل ركنا فى الصيدليات . واستعملت النساء لبن الحمير للاستحمام وغسل وجوههن . . .

ديسقوريدس :

كان جراحاً فى عهد الإمبراطور نيرون وأتاحت له تنقلاته مع الجيش جمع عقاقير كثيرة وتصنيفها وشرحها شرحاً دقيقاً سهل على علماء العصور التالية معرفتها . وخصوصاً كتابه عن «الأعشاب» ووصف الأفيون وكيف يحصل عليه من ثمار نبات الخشخاش وذكر فوائده للنوم والتخدير وفى السعال المزمن وحذر من تناول كميات كبيرة منه قد تؤدى إلى الموت .

وحضر شحم الخنزير بطريقة طبية تصنع المراهم . كذلك (خل بصل العنصل) ونباتات مثل خانق الذئب والصبر والخنزبيل . ثم النشادر والزئبق وسماه الغضه السائلة . . ووصف الحديد لعلاج نزيف الرحم والتقوبة الضعاف . وقد أحصى بعضهم نحو تسعمائة وثمانية وخمسين عقاراً كتب عنها ديسقوريدس وشرحها .

سيلسوس :

صاحب الموسوعة الطبية المعروفة باسم (De Re Medica) جمع فيها كل ما عرف من عقاقير طبية كانت تستعمل فى زمانه .

جالينوس :

ظهر جالينوس بعد مولد المسيح بثمانية وثمانين عاماً أى بعد وفاة بقراط بنحو خمسة قرون وكان منشؤه فى آسيا الصغرى فى بلدة برجامون وكان بها مكتبة ضخمة وحركة علمية ضخمة مثل (قوس) مدينة أبقراط . وكان مثله عظيما بقيت أعماله وآراؤه وبحوثه خالدة وترك عدداً كبيراً من المؤلفات فى الطب والصيدلة ظلت تدرس فى جامعات أوروبا حتى القرن الثامن عشر . ذكر فيها آلاف العقاقير مما عثر عليه بنفسه ودرسه فى رحلاته الطويلة فى البحر الأبيض المتوسط والخمسة الأعوام التى قضاها بجامعة الإسكندرية وأضاف إليها أمزجة للشرب كالترياق . وكان يؤمن بفائدته إيماناً عظيماً وسماه (المزيج السحرى العالمى) وكان يحضره بنفسه من أكثر من مائة عقار وأخذ مكانه فى الدساتير الطبية وفى الصيدليات بعد أن يغلف ويوضع عليه خاتم الدولة . كما قام بتحضير دهانات أساسها الصمغ والزيت وشحم الخنزير ووضع طرقاً خاصة لتحضير العقاقير ما زالت تستعمل حتى اليوم فى الصيدليات وسميت بالصيدلة

صيدلية فى بغداد فى عصر العباسيين

صيدلى عربى أثناء قيامه بتحضير دواء فى صيدليته .

الجالينية . . وكانت عيادته وصيدليته فى الطريق المقدس فى روما وكانت تسمى الخان الطبى . . .

ظهور المسيحية والطب والصيدلة

انتقلت الحضارة العلمية بعد اضمحلال إمبراطورية روما إلى فرنسا غرباً وبيزنطة شرقاً . وكان يتخذ مهنتى الصيدلة والطب فى فرنسا الأرقاء الرومان بعد هجرتهم وتحررهم . وظهرت الصيدليات المستقلة لتحضير العقاقير وبيع الأعشاب وكانت قد بدأت تنفصل عن عيادات الأطباء منذ أيام جالينوس فى روما . وتركوا من آثارهم قطرات للعين على هيئة مستطيلات صغيرة صلبة تذاب عند استعمالها ، ويبحث جامعو الآثار عن هذه المستحضرات الطبية القديمة ويعتبرونها من أندر الآثار وأثمنها .

وكان هناك الرهبان ممن طاردهم الرومان قبل الاعتراف بالمسيحية وظهر أيضاً كثير من الدجالين والمشعوذين كانوا يمارسون مهنة التطبيب بالأعشاب والصلوات والأحجبة وفتحت الأديرة أبوابها للمرضى تواسيهم وتخفف عنهم أمراضهم وجعلت لهم أماكن للإقامة كالمستشفيات وكان من الرهبان من يقوم بجمع النباتات الطبية وإعداد العقاقير منها .

أما فى الشرق فقد برزت إمبراطورية بيزنطة وأسس إمبراطورها قسطنطين مدينة القسطنطينية لتنافس الإسكندرية فى مجدها وحضارتها العلمية وإن لم يتحقق أمله لما حدث فى عاصمته ثم فى مجمع (أفسس) من مناقشات دينية وخلافات بين رؤساء رجال الدين منها .

أوريباسيوس :

ظهر فى هذه الفترة أوريباسيوس من أشهر أطباء ذلك العصر . ولد عام ٣٢٥ ميلادية فى برجامون فى آسيا الصغرى وهى التى ولد فيها جالينوس وقضى معظم حياته فى القسطنطينية فى عهد إمبراطورية بيزنطة وعرف بموسوعته الطبية التى ترجم بعض أجزائها عيسى بن يحيى إلى العربية وترجع أهميتها إلى احتفاظها بالكثير من الطب القديم الذى جمعه فى سبعين مقاله منها المسهلة والمقيئة والمدرة للبول والمنفثة للدم والمكمدات واللبخات والأغذية وسائر العقاقير وطرق إعدادها .

النساطرة

انتقلت حضارة اليونان والإسكندرية إلى الشرق بفضل النساطرة الذين أدانتهم المسيحية بالانحراف عن الدين الحقيقى . ونفى بعضهم إلى مصر وعلى رأسهم بطريركهم نسطور حيث أمضى بقية حياته فى الصحراء ومات ودفن بالقرب من أخميم . وهاجر البعض الآخر من أتباعه إلى (الرها) فى سوريا وكان بها مكتبة علمية حافلة ومدرسة طبية فنقلوا إليها مؤلفات أفلاطون وأرسطو وبقراط وجالينوس وترجموها إلى الفارسية والسريانية ثم إلى العربية . وأصبحت مركزاً للطب وغيره من العلوم حتى عام ٤٨٩ حين قرر الإمبراطور (ذينو) البيزنطى إغلاق مدرسة الرها واضطهاد النساطرة . فاضطروا إلى الفرار إلى (جنديسابور) فى بلاد فارس وكان ملكها الساسانى كسرى أنوشروان فرحب بهم . وعند ما أغلق (جستنيان) جامعة أثينا سنة ٥٢٩ لجأ عدد من فلاسفة الإغريق إلى فارس وأصبحت جنديسابور من أكبر مراكز العلوم فى الشرق ونشطت حركة

الترجمة من اللغات اليونانية والهندية إلى اللغة الفارسية واللغة السريانية وازدهرت جامعاتها وكان بها مستشفى ومدرسة للطب ولعلوم الفلك والرياضة والفلسفة ؛ وفى مدرستها الطبية وضع أول أقرباذين للأدوية . وفى عصور الخلفاء المسلمين انتقلوا إلى بغداد فازدادت حركة الترجمة من اليونانية والفارسية والهندية والسريانية واللغات الأخرى إلى العربية ، ووصلت الحضارة العلمية إلى قمة ازدهارها .

obeikandl.com

الصيدلة والطب وحضارة الإسلام

« إذا استثنينا القليل من الشعوب نرى أن العرب قد بلغوا من المدنية درجة عظيمة لم يبلغها شعب من شعوب الأرض فى مثل تلك الفترة القصيرة من التقدم والحضارة . كان دين العرب من أعظم الأديان فى التاريخ نقلوا معه إلى أوربا حضارتهم العلمية والأدبية والفنية »

(غوستاف لوبون)

وقال (جورج سارتون) فى موسوعته عن تاريخ العلم : « يقول الغربيون إن العرب والمسلمين نقلوا التراث العلمى القديم دون أن يضيفوا إليه شيئاً . وهذا الرأى خطأ . إذ لو لم ينقلوا إلينا كنوز الحكمة الإغريقية وما زادوه عليها من عندهم من إضافات هامة لتوقفت المدنية عن التقدم عدة قرون ».

كانت حياة النبى محمد صلى الله عليه وسلم مثالا يقتدى به . كان يحث المسلمين على طلب العلم ، ومن بين الأحاديث المنسوبة إليه : « العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان » مما يدل على تقديره للصحة كعلم ، ومن أقواله أيضاً : « يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا واحداً وهو الهرم » .

أثر ظهور الإسلام على حياة المجتمع العربى تأثيراً عميقاً حاسما . فبعد أن كان مجتمعاً بدوياً يعيش فى قبائل أصبح يسكن المدن الكبيرة . وفى أقل من خمسين عاماً كانت الدولة العربية تمتد من الهند وفارس شرقاً إلى المحيط الأطلسى وشمال إسبانيا غرباً . وأصبحت الكوفة ودمشق وبغداد والبصرة وسمرقند والقيروان والقاهرة وتونس وغرناطة وقرطبة وإشبيلية وطليطلة مراكز لحضارة العرب .

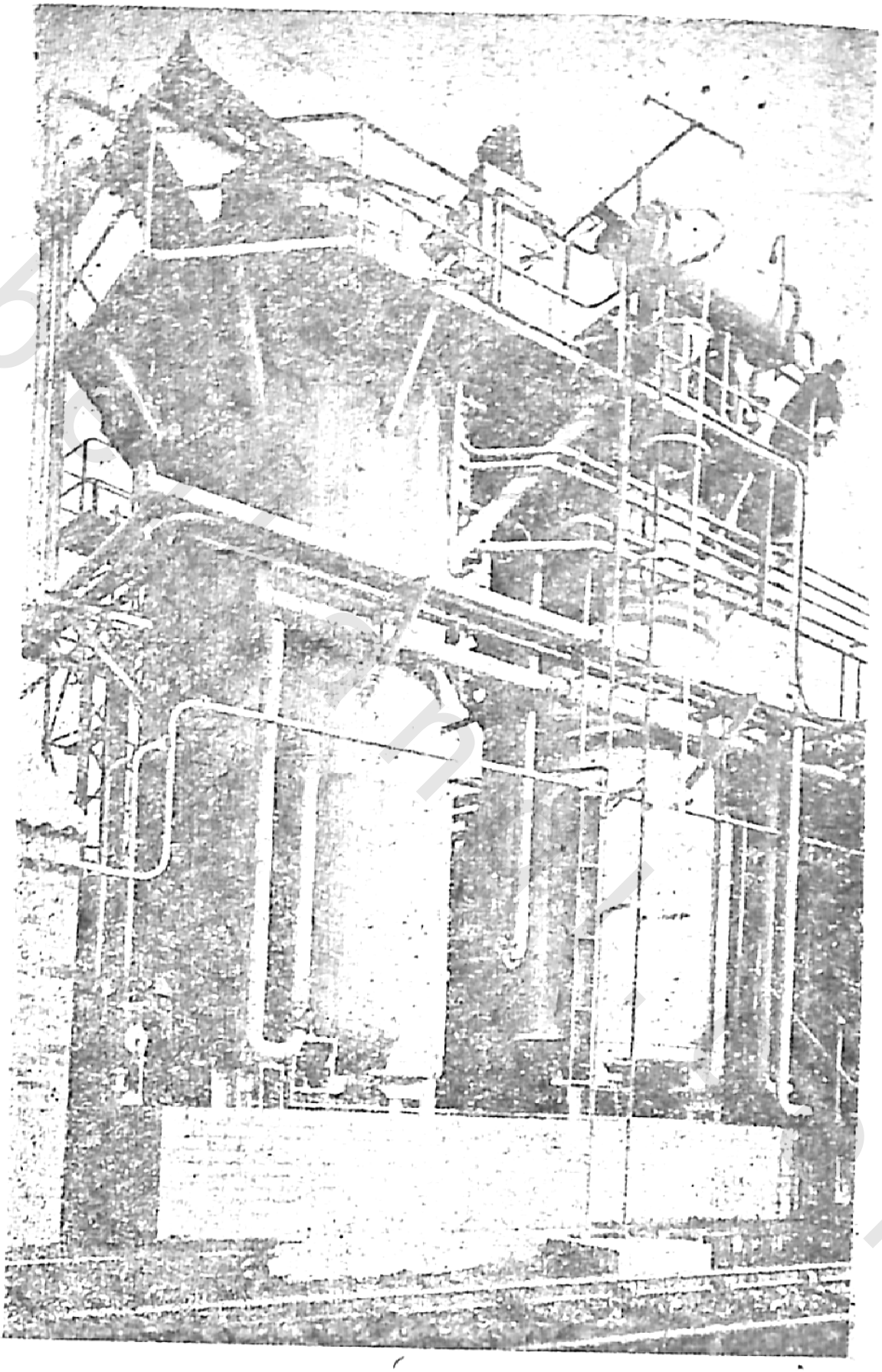

مصنع تحضير مضادات الحيوية

ومع نمو الحضارة الإسلامية انتشرت اللغة العربية وأصبحت لغة الثقافة العلمية والفنية والأدبية . وترجمت كتب اليونان والهند وفارس إلى العربية . وكان من عوامل انتشار تلك الثقافة انتشاراً سريعاً صاحب انتشار الحضارة العربية الإسلامية صناعة الورق من عجينة من الكتان وغيرها من النباتات ذات الألياف تعمل منها صفحات رقيقة وتوضع فى الشمس حتى تجف . نقلوها عن سمرقند عند فتحهم إياها سنة ٧١٢ م ، وعن الصين . وأنشأوا أول مصنع للورق فى دمشق تلاه مصانع فى البلاد العربية الأخرى فأصبح ثمنه زهيداً فى متناول الجميع . وقيل إن الوراقين الذين كانوا يبيعون الورق والكتب كانوا على جانب من الثقافة . وكانت حوانيتهم مكتبات صغيرة يهرع إليها محبو العلم يقرءون الكتب وينقلون فى أوراقهم ما يريدون مقابل أجر متواضع .

وجد العرب فى جنديسابور والإسكندرية والقسطنطينية مكتبات هامة ومراكز عظيمة للدراسة والعلوم . غنية بمؤلفاتها وخاصة جنديسابور التى كانت تزخر بالكتب اليونانية المترجمة إلى السريانية . فشجعوا العلماء على الحضور إلى دمشق عاصمة الأمويين ثم إلى بغداد فى عصر الدولة العباسية وكان خالد بن يزيد بن معاوية من أوائل المشجعين على التأليف والترجمة زاهداً الخلافة لدراسة علوم الكيمياء والطب والفلك . وأرسل فى إحضار عدد من الكتب النفيسة فى تلك العلوم وطلب من العلماء والمترجمين نقلها إلى اللغة العربية وأنشأ أول خزانة للكتب وقام بتأليف وترجمة عدد من الكتب . ويذكر التاريخ أن من بين من لبى دعوته الراهب اليونانى (مريانوس) الذى تعلم الكيمياء على يديه . وكان أول كتاب ترجم فى الطب (كناش فى الطب) لأهرون الراهب والطبيب السريانى من مدرسة الإسكندرية وهو الذى ترجمه فيما بعد (ماسرجويه) من السريانية إلى العربية .

وألف يوحنا بن ماسويه الدمشقى الذى لقب بأبى الصيادلة موسوعته الطبية التى ظلت مرجعاً للطب والعقاقير طوال القرون الوسطى ، وقد أودعها تجاربه فى معالجة الأمراض ، كما ذكر ما استوعبه من كتب أبقراط وجالينوس وديسقوريدس وأورباسيوس . وكان دقيقاً فى كتابته بالرغم مما كان يلقاه من صعوبات فى ترجمة المصطلحات وأسماء العقاقير والأعشاب الطبية .

ومن أشهر الأطباء المترجمين من النسطوريين والعرب ابن أثال طبيب معاوية ، وتياذوق طبيب الحجاج وماسرجويه وجرجس بن بختيشوع الطبيب السريانى الذى دعاه الخليفة المنصور من جنديسابور إلى بغداد . وكان ابنه الطبيب المشهور أيضاً بختيشوع وحفيده جبرائيل بن بختيشوع أطباء للخلفاء أيام هارون الرشيد والأمين والمأمون ومن تلاهم من العباسيين . وفى عصر هارون الرشيد أسس (بيت الحكمة) وهو دار الكتب جمع فيه ألوف المخطوطات المؤلفة والمترجمة وأقيمت فيه ندوات علمية وفلسفية وطبية كانت بمثابة مدارس لتعليم الطب والصيدلة والنباتات والكيمياء والفلك والرياضيات . .

وبلغ اهتمام العشابين والصيادلة بمهنتهم أنهم كانوا لا يقنعون بدراسة كتب النبات والعقاقير المؤلفة فى اليونانية أو المترجمة بل قاموا بالرحلات إلى مختلف الأقطار لجمع الحشائش والأعشاب والأملاح المعدنية يجرون عليها التجارب ويكشفون عن طرق جديدة للتحضير والتنقية واخترعوا الأنبيق وحللوا عدداً كبيراً من المواد تحليلا كيماوياً . وسجلوا ملاحظاتهم بكل عناية ودقة . وفرقوا بين الأحماض والقلويات ودرسوا مئات من العقاقير الطبية من ثمار وبذور وجذور وأوراق وأعشاب ومعادن وأملاحها وعقاقير حيوانية .

وواصلوا علم السيمياء الذى رأى النور فى الإسكندرية وجامعتها

العظيمة . وأجروا التجارب فى البحث عن حجر الفلاسفة وإكسير الحياة . وفى سبيل الحصول عليهما كشفوا عن عمليات كيماوية تعتبر أساسية فى معامل الكيمياء حتى اليوم كالإذابة بالأحماض والتكليس والتصعيد والباورة والترشيح والتجفيف فى الأفران أو فى الشمس .

شجع المأمون الترجمة فكان يكافئ المترجم بوزن كتبه بالذهب وأرسل الرسل إلى الهند وفارس ومصر . وبعث بالحجاج بن مطر وابن البطريق وحنين بن إسحاق وغيرهم إلى القسطنطينيه للبحث عن الكتب ذات القيمة العلمية .

واختاروا من نفائسها الكثير عادوا به إلى بغداد حيث ترجمت إلى العربية.

وكتب علماؤهم من أمثال جابر بن حيان والرازى وابن سينا كتباً وموسوعات فى العقاقير والمستحضرات الكيماوية والعلاج بها أو بالأغذية . وجاء فى مؤلفاتهم الطبية كثير من الفوائد الطبية لأعشاب وأغذية من بينها (التمر) كغذاء . و (الثوم) يحلل الرياح وإذا ضمد به لسع الحية كان الترياق . (والعسل) ذكره القرآن الكريم فى قوله تعالى « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » ..

و (الكمون) : يحلل القولنج ويطرد الرياح

(الراوند) : يفتح سدد الكبد

(الخطمى) : بذره ينفع فى الحقن الملينة

(النعناع) : يقوى المعدة ويمنع القىء

(الصبر) : يفتح سدد الكبد ويذهب اليرقان .

(الحبة السوداء) : لو كان شىء يذهب السأم عن الجسم لأذهبته الحبة السوداء .

(الزيت) : جميع الأدهان تضعف المعدة إلا الزيت وهو يطلق البطن ويخرج الديدان من الداخل وهو ينفع البواسير .

المستشفيات والصيدليات

أسست المستشفيات منذ أيام الوليد بن عبد الملك ؛ وفى عصر العباسيين أنشئ عدد كبير من المستشفيات فى جميع عواصم ملكهم ومدنهم الكبيرة . وكانوا يخصصون قسما منه لتدريس علوم الطب والصيدلة وأعد جزء خاص للصيدليات وتحضير العقاقير وصرفها للمرضى . واشتهر عدد من الصيادلة من بينهم عيسى المعروف بأبى قريش وكان صيدليا فى أحد المستشفيات العسكرية للمهدى .

وللعرب فضل كبير على فن الصيدلة . إذ أنهم أول من اعترف بالصيدلة كمهنة وعلم مستقل بذاته . وظهرت أيضاً الصيدليات الخاصة وحوانيت العطارة . يقول (تشرش) : « يعود الفضل للعرب إذ أنهم كانوا أول من أوجد حوانيت الصيدلة لبيع الأقرباذينات . ويغلب على الظن أنه لولا العرب لما وصل الطب الأوربى إلى ما هو عليه الآن » . وعرفوا الصيدلة بأنها « العلم الباحث عن التمييز بين النباتات المتشابهة فى الشكل ومعرفة منابتها صينية أو هندية أو فارسية أو مصرية . ومعرفة زمانها بأنها صيفية أو شتوية أو ربيعية . ومعرفة جيدها من رديئها . ومعرفة خواصها . إلى غير ذلك ، وغرضه وفائدته ظاهران . والفرق بين علم الصيدله وعلم النبات أن الأول بالعمل أشبه والثانى بالعلم أشبه . وكلى منهما مشترك بالآخر » .

وقيل إن أول صيدلية أنشئت كانت فى بغداد عام ٧٥٤ .

وفى الصيدليات العامة والخاصة أوعية مختلفة الأشكال والأحجام تحتوى على الأعشاب وأطلاع المأخوذ من بينها العنبر والكافور والقرنفل والجاوى والصندل والزعفران والقرفة والحنظل والمر والمسك والتمرهندى والراوند

والجوز المقيئ والشمر والينسون والسنامكى والصبر والاحلاح وأملاح الزئبق والحديد والزرنيخ وأحماض الكلوردريك والنتريك والبورق والكبريت ونترات الفضة . . واستعملوا الهاون والمنخل والمصفاة وغيرها من الأدوات وحضروا أنواع الشراب والجلاب والجوارشنات والإكسير والمستحلب واللعوق والكحول والخل وماء الورد والزيوت العطرية والمراهم والفتائل واللبوس . . .

حنين بن إسحاق :

طبيب نسطورى ولد فى الحيرة ودعاه إلى بغداد يوحنا بن ماسويه ليعاونه فى تحضير الأدوية وترجم بمعاونة ابنه إسحاق ومساعديه مئات الكتب بعضها إلى السريانية وبعضها إلى العربية مثل الحكم والقسم لأبقراط ، والأدوية البسيطة لجالينوس وأقرباذين ديسقوريدس .

ومن المترجمين غيره ثابت بن قرة وابنه سنان . كان للعلماء نشاط ندر مثله فى التاريخ لكتابة وتأليف كتب العلوم والتاريخ والفلسفة . خلفوا وراءهم الكثير من كتب الكيمياء والنبات والموسوعات الطبية والتاريخية الضخمة مثل (قانون) ابن سينا و (فهرست) ابن النديم (ومروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودى . . .

الطبرى :

عاصر على بن الطبرى حنين بن إسحاق . وأهم مؤلفاته الطبية (فردوس الحكمة) ذكر فيه كيفية استعمال الدواء والفصد والحجامة والتعاويذ والأحجبة والأغذية الصحية وقواعد الصحة . وله أيضاً كتاب (أخبار الأمم والملوك) وكان الطبرى أستاذاً لأبى بكر الرازى .

جابر بن حيان :

كان أعظم وأشهر كيماوى العرب . اشتغل أبوه بتجارة العقاقير فى الكوفة . وتتلمذ جابر على الإمام جعفر الصادق فى الكيمياء وأقام له معملا يجرى فيه تجاربه . وذاعت أعماله والأجهزة الدقيقة التى كان يصنعها بنفسه كالأنابيب والبواتق والأفران والأنابيق . واستعمل الموازين يزن بها الأملاح والمعادن . وكان أول عالم وكيميائى استعمل الموازين الحساسة فى تجاربه الكيماوية فكان يذكر وزن كل عنصر من العناصر الداخله فى المركب الكيميائى المراد تحضيره . ومن أهم وحدات الوزن التى استعملها الرطل والأوقية والمثقال والدرهم والدانق والقيراط .

وألف كتاب (الموازين) ودرس التفاعلات فى الكيمياء وابتدع طرقاً للإذابة والبلورة والترشيح والتقطير والترسيب والتصعيد والتكليس والاختزال وغيرها !

وله مؤلفات كثيرة مثل (سر الأسرار) و (الخواص) وهو من أهم كتبه فى الكيمياء، و (إخراج ما فى القوة إلى الفعل) ، و (وصية جابر) ؛ و (كيمياء جابر) و (نهاية الإتقان) و (كتاب السموم ودفع مضارها) قسم فيه السموم إلى حيوانية ونباتية ومعدنية . فمن السموم النباتية السكران وقرون السنبل والأفيون والحنظل . ومن الحيوانية مرارة الأفاعى ولسان السلحفاة والعقارب والضفادع . ومن المعدنية الزئبق والزاج والزرنيخ .. ومن كتبه أيضاً (السبعون مقالة) و (العلم الإلهى) و (الأحجار) ومؤلفات أخرى كثيرة تُرجم معظمها إلى اللغات الأوربية وظلت مرجعاً فى الكيمياء فى جامعات أوربا حتى القرن الثالث عشر . ومن أقوال جابر المأثورة « إن من واجب المشتغل فى الكيمياء العمل وإجراء التجربة . وإن المعرفة لا تحصل إلا بها » . وكان جابر أول من حضر حامض

الكبريتيك بتقطيره من الشبة وسماه زيت الزاج . كما أنه حضر حامض النتريك والصودا الكاوية وماء الذهب وكربونات الصوديوم وكربونات البوتاسيوم وأجرى التجارب على الزئبق ومركباته . وأصبح لهذه الكيماويات أهمية عظيمة فى العصور الحديثة . بل تكاد تكون من أسس حضارة القرن التاسع عشر والعشرين فى الكيمياء والصيدلية والزراعة والصناعة مما يدل على عظمة هذا الرجل وعبقريته . ويمكن اعتباره من أعظم علماء العالم فى جميع العصور . ولقد عرف العالم قدره فسموا الكيمياء علم جابر .

أبو بكر الرازى :

ولد فى الرىّ بالقرب من طهران سنة ٨٥٤م وتوفى عام ٩٢٦ . أحب الموسيقى وكثيراً ما تردد على صديق له صيدلى فى أحد المستشفيات ليعزف للمرضى الذين كانوا يجتمعون حوله . وكان لموسيقاه أثر كبير على شفائهم وبالرغم من ذلك فإن ابن جلجل يذكر أنه ترك الموسيقى لأنها لا تليق بأن يعزفها الرجل فيما بين شاربه وشعر ذقنه . وتحول إلى دراسة الطب والصيدلة وأشرف على مستشفيات الرى ثم بغداد . وبرع فى الكيمياء وخاصة علم الكيمياء وحجر الفلاسفة .

وكتب فى ذلك كتابه (المنصورى) الذى أهداه إلى المنصور أمير خراسان والذى ترجمه إلى اللاتينية فيما بعد جيرار الكريمونى وظلت تدرس الأجزاء الطبية والكيماوية منه حتى القرن السادس عشر . وهذا الكتاب الذى يعتبر من أهم ما كتب الرازى كان سبباً فى إصابته فيما بعد بالعمى ثم موته . إذ أنه عندما قدم هذا الكتاب إلى الأمير المنصور ليثبت فيه نظرياته السيميائية وإمكان تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب . كافأه المنصور بألف دينار وطلب منه أن يثبت عملياً صحة نظرياته ، فاعتذر وعندما

ألحّ عليه وقدم له كل ما يحتاج إليه من مال وأدوات أخفق فى محاولاته . فغضب المنصور وأمر بضربه بالكتاب على رأسه حتى يتمزق . وكان هذا سبباً فى إصابته بالعمى .

ولأبى بكر الرازى أكثر من مائة كتاب جمع فيها علوم العرب واليونان والهند ومصر . منها (الحاوى) وهو موسوعة من عشرين جزءاً تبحث فى كل فروع الطب والكيمياء . وكان يدرس أيضاً فى جامعات أوربا بل إنه كان أحد الكتب التسعة التى كانت تدرس فى كلية الطب بباريس سنة ١٣٩٤ .

وكان مؤلفه (الجدرى والحصبة) دراسة علمية رائعة وهى الأولى التى استطاعت أن تفرق بين تشخيص هذين المرضين . وحتى نعرف قيمته الطبية نذكر أنه طبع أربعين مرة باللغة الإنجليزية بين عامى ١٤٩٤ و١٨٦٦ وهو من أوائل الكتب التى أخرجتها المطابع الأولى فى العالم .

وله أيضاً كتاب (سر الأسرار) فى الكيمياء شرح فيه المواد الكيماوية وخواصها ووسائل الحصول عليها وتحضيرها وتنقيتها . ونظرياته فى تقسيم المعادن إلى أرواح وأجساد وزاجات وبوارق وأملاح وأحجار ، ولكل منها صفاتها الخاصة ، هى أول تقسيم لعالم كيماوى .

ومن بين الأجهزة والآلات التى يصفها أجهزة معدنية وأخرى زجاجية ويدهشك أن تعلم أن بعض أجهزته معقد ويحتاج تركيبه إلى دقة عظيمة .

وهو أول من حصل على الكحول بتقطير مواد نشوية أو سكرية بعد تخمرها . وأدخل استعماله فى الصيدليات للعلاج . وينسب إليه اختراع خيوط الجراحة المصنوعة من جلد الحيوانات .

ومن كتبه (من لا يحضره الطبيب) فيعالج المرء نفسه إذا لم يتسن له استدعاء الطبيب . وفى هذا الكتاب وصفات كثيرة مثل :

(شراب الكشوت) لمن لا يحضره الطبيب وهو نافع للصفراويين

والذين بهم يرقان وحرّ فى المعدة والكبد واحتباس الطبيعة وهو مجرب يعالج به الشباب فى الصيف فينتفعون به . يؤخذ بزر كشوث أربعين درهماً وبزر بنفسج وبزر شاهترج ؛ من كل واحد عشرين درهماً . وأفسنتين رومى ولسان ثور وورق ورد عراقى من كل واحد عشرة دراهم وأجاص وعناب وسبستان من كل واحد مائة حبة ينقع الجميع فى اثنى عشر رطل ماء حار ليلة كاملة . ويطبخ حتى ينقى أربعة أرطال . ويمرس ويصفى . وفى صفوه ثلاثين درهماً ترنجبين . ويصفى ثانية ويعاد إلى القدر مع ثلاثة أرطال سكر ويغلى وتنزع رغوته حتى يصير فى قوام الأشربة ، ويرفع ، الشوربة منه أوقية بماء بارد نافع .

ومن أقواله المأثورة «إذا كان فى استطاعتك أن تعالج بالغذاء . فابتعد عن الأدوية . وإذا أمكنك بعقار مفرد فاجتنب الأدوية المركبة » .

كانت كتابات الرازى تتناول آفاقاً واسعة فى الطب والجراحة . فمن ملاحظات جراحية إلى عقاقير تعالج أمراض العين والصدر والأمعاء والمثانة والمجارى البولية. استعمل مرهم الزئبق لالتهاب الجفون وأوصى بمكمدات الماء البارد فى الحميات . كما ذكر أن العلاج يتوقف على نوع الحمى وأعراضها .

وكان من وسائله العلاجية غسل المثانة بماء العسل أو مغلى بذور السفرجل . واستعمل حقن ماء الخل أو الأفيون المذاب فى ماء الورد لالتهاب المثانة وتسكين آلامها . ثم يتحدث طويلا عن الدجالين والمشعوذين وحيلهم وألاعيبهم .

على بن عباس المجوسى :

ولد فى جنوب غربى آسيا فى القرن العاشر للميلاد . وله موسوعة طبية

(كامل الصناعة فى الطب) بها نحو أربعمائة ألف كلمة فى جميع معارف العرب الطبية فى ذلك الوقت وترجمه إلى اللاتينية قسطنطين الأفريقى.

ابن سينا :

« أعظم أطباء عصره بل جميع العصور » . وحياة هذا الفيلسوف الشاعر والعالم الطبيب والفلكى والمهندس والموسيقى الذى أحاط بكل هذه الثقافات جديرة بالدرس والفحص والتأمل يدعونا إليه ما نقرؤه على صفحات مؤلفاته الخالدة التى تركها تراثاً تتناقله الأجيال .

ونشهد قصة حياته التى كتبها بنفسه ما لاقاه فى حياته العملية التى بدأت منذ العاشرة من تقلبات .

ولد ابن سينا عام ٣٨٠ هجرية فى قرية (أفشنا) بالقرب من بخارى إحدى مدن التركستان . وانتقلت أسرته إلى بخارى وهو طفل صغير فحفظ القرآن الكريم وقرأ كتب الأدب ولم يتجاوز العاشرة . فلما رأى أبوه رغبته الملحة فى التعلم أحضر له مدرساً يعلمه الفلسفة والمنطق . وإذا بالصبى الصغير يفوق أستاذه . فينصرف عنه ويتعلم الطب بمفرده وكذلك علوم الفلك والطبيعة والكيمياء والهندسة والفلسفة والمنطق والشعر . وإذا به عالم كبير ولما يبلغ بعد الثامنة عشرة من عمره وقد استوعب الكثير من مؤلفات أرسطو وبقراط والفارابى .

وهو يكتب فى وصف تلك الأيام : « عند ما يقبل الليل أجلس إلى مصباحى أقرأ وأدون . وكنت أغفو أحياناً إذا أرهقنى التعب . وفى أثناء النعاس كانت الأفكار تتزاحم فى رأسى حتى إننى كنت أجد حلولا لمشاكل عويصة تأخذ فى الوضوح بعد آن استيقظ . وكثيراً ما كنت أهرع إلى المسجد ضارعاً إلى الله أن ينير بصيرتى حتى يتاح لى فهم ما

استعصى من مسائل ونظريات . واستمر الحال على ذلك أعواماً استطعت فى خلالها استيعاب علوم الكلام والمنطق والرياضيات والطبيعة . وبدأت فى دراسة كتاب (الميتافيزيقا) لأرسطو ثم قرأته أكثر من أربعين مرة حتى كدت أحفظه عن ظهر قلب وإن لم أستطع فهم محتوياته واستجلاء غوامضها . ثم حدث لى أن كنت فى زيارة لإحدى المكتبات فعرض علىّ صاحبها كتاباً زهيد الثمن لا يتجاوز الثلاثة دراهم لحاجة صاحبه إلى المال فاشتريته ووجدت أن مؤلفه هو الفارابى العالم المشهور يشرح فيه بأسلوب واضح سهل كتاب أرسطو (الميتافيزيقا) فطرت فرحاً بهذه المفاجأة السارة ووزعت الصدقات على الفقراء وأنا أحمد الله كثيراً على سابغ نعمته » .

ومنذ صباه الباكر أحب الطب فكان يعالج الناس دون أجر وسع بأمره نوح بن منصور أمير بخارى فدعاه إليه إذ كان مريضاً وعجز عن علاجه جميع الأطباء فشفاه . وكافأه الأمير بتعيينه فى أحد مناصب قصره وفتح له مكتبته الخاصة فكان يقضى فيها معظم ساعات نهاره وليله .

ولكن حياة القصر الرتيبة لم يكن ليألفها ابن سينا فهى تخالف طبيعته التى تميل إلى التنقل والسفر فطاف بكثير من البلاد حتى استقرّ به المقام فترة من الزمن فى قرقشند فى قصر حاكم المدينة . ثم ينتقل إلى جرجان وينزل ضيفاً على الأمير قابوس . ويصادف أن أحد أبناء عم الأمير كان مريضا . ولم يوفق أحد من الأطباء فى العثور على علاج له . فيمسك ابن سينا بذراع الفتى ويجس نبضه فيجده سريع الضربات ويصارح أهله بأنه يعانى من مرض (الحب العنيف) . ثم يدعو ابن سينا حارس القصر ويطلب إليه أن يذكر له أجنحة القصر وتفاصيل كل منها وهو فى أثناء ذلك ممسك بنبض المريض . وإذا بالنبض يزداد سرعة فجأة عند ما يذكر الحارس اسم أحد أجنحة القصر . وسأل الحارس عن اسم الفتيات اللاتى يقمن بهذا الجناح فيزداد النبض شدة وسرعة عند ذكر إحداهن

ويعلن ابن سينا حب الفتى لها ويخبر الأمير بذلك فيسمح له بالاقتران بها .

وتموت الأمير قابوس وينتقل ابن سينا بين الإمارات وينتهى به المطاف إلى جرجان مرة أخرى حيث يهديه أحد المعجبين به دارا يقيم بها وفى هدوء هذا البيت أتيح له كتابة الكثير من مؤلفاته .

وسافر ابن سينا إلى قزوين ثم إلى حمدان وهناك عينه أميرها وزيراً له . وفى حمدان قام بتأليف كتابه المشهور (القانون) وهو موسوعة ضخمة تقع فى عشرين مجلداً جمع فيها أشتات المعارف الدينية والسياسية والطبيعة وما وراء الطبيعة والموسيقى والطب والكيمياء والعقاقير .

وقد توافرت له أسباب الحياة السعيدة والبحث والدرس وتبادل الآراء والأفكار مع العلماء والفلاسفة والأطباء والكيماويين .

ويتألف الجزء الخاص بالطب من (القانون) من خمس كتب الأول منها للتشريح ووظائف الأعضاء وفى الأمراض وأعراضها وأسبابها وقوانين العلاج الطبى . والأجزاء الثلاثة التالية خاصة بقوانين الطب وقوى الأدوية وأمراض الجسم مبتدئاً بالرأس حتى القدمين . والمجلد الخامس وهو الأقرباذين للأدوية المركبة . ويقول سارتون عن ابن سينا « وفى الغالب لم يتناول العلماء مؤلفاً طبياً بالدرس مثل هذا الكتاب » .

وظلت موسوعة القانون الطبية مرجعاً للطب والصيدلة فى كثير من بلاد العالم حتى أوائل القرن الثامن عشر . ولنتأمل ما جاء فيها من ذكر أنواع العطارات والعقاقير ، وفوائدها للأمراض المختلفة . وفى اعتقاده أن فى الإمكان معرفة الخواص الأقرباذينية للدواء من شكله ومذاقه ولونه ورائحته . ووصف العلاج بالكى والتدليك والاستحمام والفصد والحجامة والحقن الشرجية . وذكر الكثير من النباتات الطبية التى استعملها اليونان والعرب والفرس والهند والصين ووصفات للتجميل من بينها كريمات للوجه والجلد وغسول للشعر ، وفى الجزء الخاص بالعقاقير المركبه ذكر طرق

تحضير نحو ثمانمائة عقار مركب .

وله كتاب خاص بالمعادن ظل أجيالا طويلة من أهم مراجع علم طبقات الأرض فى جامعات أوربا .

وموسوعته الأخرى الضخمة هى (الشفاء) فى الفلسفة . ومن كتاباته فى (القانون فى الطب) : « ومن علامات الصحة الشعر الطويل ورائحة طيبة وجسم جميل التكوين » ويقسم عمر الإنسان إلى أربع فترات الأولى فترة النمو وتمتد من الولادة إلى سن الثلاثين . والثانية سن الحيوية والجمال من الثلاثين إلى الأربعين . والثالثة سن الاضمحلال من الأربعين إلى الستين والرابعة هى فترة نحو الفناء وهى ما بعد الستين . ثم هو ينصح الأم المريضة بألا ترضع طفلها ويشير بالاستعانة بالمرضعة ويجعل لاختيارها شروطاً صحية لا تفترق عما نعرفه اليوم . ويتحدث عن الفطام والتسنين ، ويوصى بتدليك اللثة بدهن الديك . وهو يصف اللبن الحامض كعلاج للإسهال عند الأطفال . ويذكر كثيرا من النصائح والإرشادات فى تربية الأطفال وكيفية تدريبهم على كبح جماح شهواتهم وتحويل اهتماماتهم إلى نواحى الروح والفكر ، وكيف أن جمال الوجه والجسم لا يكون إلا لذوى الأخلاق الحميدة .

ثم يوجه اهتمامه إلى الشيوخ كبار السن وواجب تنظيم غذائهم والمحافظة على نظافة أمعائهم . ويذكر فى فصول طويلة فوائد التمرينات الرياضية والتدليك وحمامات البخار .

وتقرأ أحاديثه عن الزواج فى لذة وسرور إذ يقول : وعلى المتزوجين أن يراعوا حسن العلاقات بينهم فيسود الوئام وينتشر جو السعادة والصفاء والهناء . وبذلك يهيئون للأطفال فى فترة الحمل جوا يشمله السعادة . فيولدون أقوياء الجسم . وجوههم جميله وطباعهم هادئة وديعة » .

ويتحدث عن مياه الشرب فيقول « وأحسن المياه هى الجارية التى

تتعرض للرياح وأشعة الشمس وغلى الماء أو التقطير لتنقيته ثم تطهير جو البلاد الموبوءه بحرق الأعشاب العطرية » .

وبالرغم من حياته الآمنة فى طهران فإنه لم يكن مطمئناً إلى الإقامة هناك فكتب إلى نجم الدولة أمير أصفهان يطلب إليه الالتجاء إلى بلاده . فلما علم بذلك أمير حمدان عاقبة بالحبس فى حصن (فردا جان) . فارتاح إليه وكأنه وجد فى سجنه مبتغاه . إذ كانت الحياة الهادئة تساعده على تأليف كتب أخرى جديدة . فكتب فى سجنه كتاب (الحكمة) وكتب فى الطب والتصوف والحب . وعندما أطلق أمير حمدان سراحه لم يلبث أن فرّ هارباً وقاسى فى رحلته عبر الصحارى والجبال الأهوال والمتاعب يذكرها فى كتاب (بحث فى الحظ) ويقول فيه « إن مرور الأيام كفيل بنسيان الهموم والمتاعب . وهو يطفىء شهوة الانتقام ، ويهدئ من ثورة الغضب ويقتل الأحقاد . فإذا بالماضى وكأن لم يكن . تنسى فى غمارها المصائب والمتاعب » .

ووصل إلى أصفهان مدينة الزهور والورود فاستقبله أميرها بالإكرام والترحاب . وأغدق عليه هداياه وبذلك بدأت صفحة جديدة من حياة ابن سينا . وأخذ يعمل ويواصل ليله بنهاره . ويعقد الحلقات العلمية والفلسفية . ومات وهو فى السابعة والخمسين . ولعل من سخرية القدر أنه مات بعد أن قاسى من مرضى الدوسنطاريا أمداً طويلا لم يستطع له علاجاً . وهو الذى كانت تهرع إليه جموع المرضى . وقد ذاع صيت نبوغه فى علاج الأمراض حتى بلغ أقاصى الأرض . وقد بدأت كتبه تترجم منذ القرن الثانى عشر . وكانت فلسفته ودراساته فى الطب والطبيعة والميتافزيقا تدرس فى السربون بباريس . أما قانون الطب فقد جعل أساساً لبرامج تعليم الطب فى إسبانيا وفرنسا وإيطاليا حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر . وكان ابن سينا شاعراً ومن أشهر قصائده الخالدة قصيدته التى

مطلعها :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تدلل وتمنع

ومن أرجوزته الطبية :

الطب حفظ صحة برء مرض من سبب فى بدن ومن عرض

الكندى :

ولد حوالى سنة ٨٠٠م وتوفى فى بغداد عام ٨٧١ . من أبرز العلماء فى العصر العباسى كان طبيباً ومترجماً وكيماوياً وموسيقياً وترك فيها نحو خمسين مؤلفاً ترجم بعضها إلى اللاتينية (جيرار الكريمونى) . وأهم كتبه الطبية والصيدلية (الطب الأبقراطى) — (والغذاء والدواء المهلك) — (والأدوية الشافية من الروائح المؤذية) — (كيفية إسهال الأدوية وانجذاب الأخلاط) — (أشفية السموم) — (الأدوية المركبة) — وفى الكيمياء رسالة يحذر بها من خداع السيماويين وكذب ادعائهم تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب وفضة — ورسالة فى كيمياء العطور .

ثابت بن قرة :

عاصر الكندى وكان طبيباً وعالماً فى الرياضيات والفلك وترجم وألف الكثير من الكتب .

سنان بن ثابت بن قرة :

كان طبيباً للخليفة المقتدر وكان الخليفة يثق فيه كما يثق فى أبيه ثابت بن قرة . لذلك عين سنان رئيساً للمحتسبة لا يسمح لأى طبيب

أو صيدلى أن يحترف مهنته دون تأدية امتحان أمامه . إذ حدث فى بغداد عام ٩٣١ أن أحد الأطباء أخطأ فى علاج أحد المرضى مما أدى إلى وفاته ؛ فتقدم أهله بالشكوى إلى الخليفة المقتدر .

ويذكر القفطى أن ثمانمائة وستين طبيباً تقدموا للامتحان أمام سنان ابن ثابت . وترك مؤلفات طبية وكان له الفضل فى إنشاء مستشفيات عامة وأخرى متنقلة وزيارة المرضى فى السجون والعناية بهم .

البيرونى :

ولد أبو الريحان البيرونى فى خوارزم وتوفى عام ٤٤٢ هجرية وصفه سخاو بقوله « البيرونى أعظم عقلية عرفها التاريخ» عاصر ابن سينا وكانت بينهما مجادلات فى العلوم والفلسفة . كتب البيرونى فى الطب والفلسفة والصيدلة والرياضيات والفلك والشعر والطبيعة . وكان أول من حدد الوزن النوعى للعناصر تحديداً دقيقاً إلى حد كبير إذا قورنت جداوله بنظائرها الحديثة وألف كتباً عن المعادن والأحجار النفيسة ومن أهم كتبه (الصيدلة) وهو يعرف مهنة الصيدلة والعقاقير المفردة والمركبة واستعمال العقاقير البديلة عند تعذر وجود العقاقير الأصيلة . وظل فى وطنه حتى الأربعين من عمره دون أن يسافر إلا نادراً . ثم دعاه سلطان الغزنويين فلبى الدعوة وأقام عنده أكبر شطر من حياته بعد الأربعين وقام برحلة إلى الهند ألف خلالها كتاباً عن علومها وأديانها وفلسفتها .

ابن البيطار :

من أكبر علماء النبات العرب . قام برحلات إلى اليونان ومصر

والمغرب والشام وجمع النباتات والحشائش ولازم ابن أبى أصيبعة المؤرخ الطبيب الذى قام بتأليف موسوعته (عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) ذكر فيه حياة نحو أربعمائة من رجال الطب والكيمياء والطبيعة من العرب واليونان وقد اعتمد على كتاب القفطى المصرى (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) فى جزء كبير منه .

درس ابن البيطار النباتات الطبية والأعشاب وأخذ يقارن بين دراساته الخاصة وتجاربه عليها وما كتبه ديسقوريدس وجالينوس من الغرب والإدريسى والغافقى من العرب . وعينه الملك الصالح الأيوبى رئيساً للعشابين فى مصر . وأشهر كتبه (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) و (المغنى فى الأدوية المفردة) .

من الدولة العباسية إلى الأندلس

عند ما ضعف خلفاء الدولة العباسية بدأ بعض حكام ولاياتها يستقل بها . وظهرت الدولة الطولونية فى مصر وأعقبتها الإخشيدية ثم الفاطمية وكذلك الدولة السامانية فى بخارى والغزنوية فى غزنة والحمدانية فى حلب والموصل .

مستشفى نور الدين فى دمشق :

بنى السلطان نور الدين مستشفاه لذكرى انتصاره على الصليبيين. قال عنه مؤرخو ذلك الوقت إنه لم يكن له مثيل فى العالم . وفى إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى حكاية الظاهرى الرحالة والمؤلف المصرى الذى أراد أن يقف بنفسه على حال المستشفى وأعجب بما شاهده من عناية فائقة بالمرضى وعند ما جاء دور الكشف عليه فحصه رئيس الأطباء فحصاً دقيقاً وجس نبضه فوجد أنه صحيح لا مرض فيه . وبالرغم من ذلك فقد وصف له الدجاج والأشربة والفاكهة الشهية والحلوى وبعد ثلاثة أيام من إقامته كتب له وصفة قدمت إليه وقرأ فيها (إن حد الضيافة فى المستشفى ثلاثة أيام) .

وزار الرحالة ابن جبير هذا المستشفى ووجد القائمين بالإشراف عليه يعنون بتسجيل الإصابات المرضية وقائمة بأسماء المرضى والأموال التى تنفق على المستشفى. ولاحظ عنايتهم بالتطبيب والطعام والدواء وكل هذا دون مقابل .

وكان فى المستشفى مكتبة وصيدلية ومدرسة لتعليم الأطباء والصيادلة الذين كانوا يتقدمون للامتحان قبل ممارسة مهنتهم .

وكان المحتسبة وهم الذين يقومون بالتفتيش على الصيادلة والأطباء والحجامين والفصادين والمجبرين يراقبون أعمالهم .

مستشفى ابن طولون فى القاهرة :

أرسل العباسيون أحمد بن طولون إلى مصر سنة ٢٥٤هـ وأراد أن تنافس بغداد فى حضارتها وعلومها . فأنشأ أول مستشفى كان يطلق عليه (بيمارستان) فى الفسطاط بعد وصوله إليها بخمسة أعوام وألحق بالمستشفى صيدلية ورتب لهما الأطباء والصيادلة للعناية بالمرضى . وكان المريض عند دخوله تنزع عنه ثيابه وتحفظ لحين خروجه ثم يلبسونه ثياباً خاصة ويفرض له الغذاء والدواء حتى يشفى (فإذا أكل فروجاً ورغيفاً يعطى ماله وثيابه) وينصرف إلى بيته .

الفاطميون فى القاهرة

كانت القاهرة أيام الخلافة الفاطمية من عواصم الحضارة العربية لا تقل ازدهاراً ومدنية وحضارة عن بغداد وأنشئ الجامع الأزهر فى القاهرة فكان مركزا للعلم والدين يجتمع فيه علماء العالم وأدباؤه وفلاسفته كما كانوا يجتمعون للدراسة والتدريس فى جامعة الإسكندرية القديمة . إذ كان الأساتذة والطلبة يقيمون فى مساكن ملحقة بالجامع الأزهر وكانت مكتبته المسماة بالمكتبة الفاطمية من أغنى مكتبات العالم قيل إنها جمعت مليوناً من الكتب .

ومن المستشفيات التى أنشئت فى القاهرة فى ذلك العهد المستشفى المنصورى . وقيل إن السبب الذى دعا الخليفة المنصور إلى إنشائه أنه أصيب بمغص كلوى اضطره إلى دخول مستشفى نور الدين فى دمشق وبعد أن شفى زار أقسام المستشفى قبل خروجه وأعجب بكل ما شاهده ونذر ببناء مستشفى يفوق مستشفى نور الدين إذا هو ولى الخلافة وقد وفى بالنذر

مصنع تقطير شركة النصر للعطور

عام ١٢٨٣ م . وشيد أعظم مستشفيات العصور الوسطى . كان بناء مربعاً تتوسطه النافورات والأشجار والزهور . وكان القرآن الكريم يتبادل تلاوته خمسون من المقرئين ليلا ونهاراً ويقوم الوعاظ بتفسير آياته البينات والوعظ والإرشاد . وكان بالمستشفى أقسام خاصة للمرضى ، فالجراحة قسم وللعيون والدوسنطاريا والحميات والجذام والأمراض العقلية أقسام أخرى وجناح خاص لكل من الناقهين من الرجال والنساء وكانت به فرقة موسيقية تعزف أثناء النهار ومسجد ومكتبة وقاعة فسيحة للمحاضرات وصيدلية يقوم بالإشراف عليها صيدلى . وكان المرضى يمنحون عند خروجهم من المال ما يغنيهم عن العمل فترة النقاهة .

وقد تجدد بناؤه عام ٧٢٦ هجرية أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون. وجدده مرة أخرى الأمير عبد الرحمن كتخذا .

وجعل فيه خدمة ليلية وتوافرت فيه جميع صنوف الأدوية والشراب والعلاج دون مقابل أو تمييز .

وكان الصيادلة لا يمارسون عملا فى هذا المستشفى أو غيره من المستشفيات ـ التى وصل عددها إلى عشرات المستشفيات ـ إلا إذا كان معروفاً عنهم الأمانة والكفاية ويعطون التراخيص بعد تقييد أسمائهم فى سجل خاص بهم كما كان لكل صيدلية أمين يتسلم ما بها ويحافظ عليه . وفى القاهرة مفتشون للصيدليات الخاصة والعامة وحوانيت العطارة والعشابين يراقبون أعمالهم .

تذكرة ابن داود :

ترك لنا عدد من أطباء العرب وصيادلتهم والدارسين للنباتات والأعشاب الطبية والعقاقير على سائر أنواعها كتباً لا تقل أهمية عما كتبه الأطباء والعلماء أنفسهم . فهذه تقدم لنا صوراً واضحة لما كان عليه العلاج

بالعقاقير والأعشاب والأحجبة والوصفات الطبية الشائعة الاستعمال توضح لنا مهنتى الطب والصيدلة حتى أواخر القرن الماضى .

ورسموا لنا صوراً لصيدلياتهم العربية الخاصة فى عواصم حضارتهم وقد ارتدى الصيدلانى ثياباً بيضاء واقفاً بباب صيدلية يصرف الدواء ومن ورائه الأرفف الممتلئة بالأوعية والقوارير . وفى صورة منها الصيدلى يشترى من أحد العشابين المتجولين بعض ما يحمله من أنواع الحشائش التى كانوا يعترفون بمزاياها الطبية ويجمعونها أو يستوردونها من بلاد الصين والهند وأفريقيا الشرقية من صمغ عربى وتوابل وقرنفل وكافور ومسك وصندل وحب العروس وعنبر . . .

وكانوا يستخرجون السكر من قصب السكر ويصنعون منه الشراب والجلاب وأنواع الأشربة التى أتقنوا صنعها . كما أنهم كانوا ذوى خبرة فى استعمال أملاح معدنية كثيرة كأملاح الزئبق والرصاص والحديد والصودا والبوتاس ، كما أنهم كانوا يحضرون فى الجزء الخاص بالمعمل من الصيدلية الزيوت العطرية والكحول والأرواح .

و (تذكرة ابن داود) كتاب ضخم معروف لدى العطارين ومحبى البحث فى العقاقير العربية القديمة كما أنه كان من مراجع الصيادلة فى القرون الماضية ويشمل عقاقير وأعشاباً ووصفات طبية مرتبة حسب الحروف الهجائية بل به بعض التعاويذ والرقى والأحجبة والبخور وتأثير الأبراج على الأمراض . أما العقاقير والوصفات الطبية والعلاج فجزء كبير منها مأخوذ من كتب السابقين من أمثال ديسقوريدس وموسوعته عن العقاقير والأعشاب الطبية وجالينوس وكتبه التى كان من أهمها (العقاقير البسيطة) و (كناشة الطب للراهب السكندرى أهرون ثم (الحاوى) و (الأقرباذين) وكلاهما لأبى بكر الرازى و (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) لابن البيطار والأدوية المفردة للغافقى .

ولد داود بن عمر فى أنطاكية عام ٩٥٠ هجرية وقام برحلات إلى دمشق وغيرها من بلاد الشام ثم استقر به المقام فى القاهرة وله كتب أخرى غير (تذكرة أولى الألباب) منها كتاب (البهجة والدرة المنتخبة فيما صح من الأدوية المجربة) و (غاية المرام فى إصلاح الأبدان) ومن تذكرة أولى الألباب المشهورة بتذكرة داود.

(الحناء) : «الحناء نبت يزرع ولا يوجد بدون الماء. ورقه كورق الزيتون ولكنه أعرض يسيرا. وليس فى الخضابات أكثر سريانا منه ومسحوقه عظيم النفع فى قلع البثور. وماؤه يذهب اليرقان ويفتت الحصى ويقطع النزلات وأنواع الصداع. وهو مع السمن ودهن الورد يحلل الأورام ووجع المفاصل ويقطع الجرب المزمن ويلحم الجراح ويذهب قروح الرأس ويصلح الشعر خصوصاً بماء الكزبرة».

ويصف (الجوز المقيئ) وهو الذى يستخرج منه الصيادلة الكيماويون الآن أملاح الاستركنين وتدخل صبغة الجوز المقيئ فى العقاقير المركبة حتى اليوم. وكذلك (جوز ماثل) وهو الداتورة (السترامونيوم) يكتبه كثير من الأطباء فى العصر الحالى لعلاج السعال وأمراض الربو أو يستعمل كأعشاب تحرق يستنشقها المريض أو سجاير يدخنها لضيق التنفس.

ويقول ابن داود عن الداتورة «قيراط منه فى النبيذ يسكر سكراً شديداً. وهو مخدر ومنوم وردىء للدماغ. ودرهم منه يقتل ليومه، ويداوى بالقىء بماء قد غلى فيه النطرون ثم يسقى اللبن الحليب مطبوخ فيه زعتر. وهو يورث النوم. والإكثار منه يضنى وهو عدو القلب والشربة منه دانق».

وعن قشر الرمان «إن طبخ قشره خصوصاً مع العفص حتى ينعقد يقطع الإسهال المزمن والدم شرباً ويلحم القروح والجراح طلاء وشرباً وإذا شرب مطبوخاً أسهل الديدان».

(الشمر) : « الشمر عطرى ذكى الرائحة وهو برى وبستانى ويوجد بمصر فى غالب الأزمنة . ينفع فى الخفقان والسعال والربو وعسر النفس ويحلل الرياح الغليظة والقولنج ووجع الجنب ويصلح المعدة ويدر البول والحيض وينقى المثانة والأخلاط اللزجة ويفتت الحصى ويزيل الحميات والفواق وخبث النفس والصداع ومحروقه يمنع انتشار القروح» .

(الزئبق) : « أحد أصلى المعادن كلها وهو الأنثى . يوجد قطرات تزيد إلى أن تمتزج ويستخرج أيضاً من أحجار زنجفرية بالنار على طريق التصعيد . والزئبق بارد رطب إذا مزج بالكندر والراتنج والشمع والزيت والحناء ودهن به . والزئبق من الداخل قتال . وكثيراً ما يفضى إلى الأمراض الرديئة كوجع العصب . ويعرض منه ما يعرض من السموم ويصلحه الشىء بالسيرج واللبن والماء الحار» .

ومن كتب الطب الشعبى المشهورة أيضاً كتاب :

(منهاج الدكان ودستور الأعيان لأبى المنى داود بن أبى النصر من علماء القرن السابع الهجرى .

وفى الفصل الأول منه نصائح (لمن استصلح نفسه أن يكون متقلداً بعمل هذه المركبات أن يكون على غاية من الدين والثقة والتحرز والخوف من الله تعالى أولا ومن الناس ثانياً) : « اعلم . . . وفقك الله لطاعته وأرشدك إلى مرضاته أن الله تعالى خلق للإنسان عقلا وجعله كالسراج يفرق به بين الخير والشر والحسن والقبيح . وجعله مخيراً فى ذلك وأن المبدأ منه تعالى فإذا أراد الله بإنسان خيراً أجرى الخير على يديه وأعانه على فعله وإذا كان غير مستحق لذلك تخلت عنه العناية ففعل الشرور فقوبل عليها فى الدنيا والآخرة . والآن فاحرص يا ولدى أن تكون فى نفسك أولاً تقوى الله تعالى والخوف خوف محبة فى ذاته . لا خوف عقابه فإن أجرك يكون عظيما ويكون جانبك من الناس سليما . . . واعلم أنه لا

ذنب أعظم من ظلم الناس وأخذ أموالهم بغير حق لا سيما من كان ضعيفاً أو مسكيناً . كمثل مريض قد أشرفت نفسه على الهلاك فيستدعى طبيباً حاذقاً فيكتب له ورقة تطمئن بها جوارحه على أنها يكون بها برؤه مع عناية الله تعالى واتكل فيها على الصيدلانى أعنى العطار فقد رجع الأمر إليك فلا إثم إن فرطت إلا عليك فهل تستحسن أنت لو كنت مريضاً أن تفرط فى حقك وأنت تعلم أن هذا التفريط مؤد إلى إتلاف المال والروح وأنت تعلم قدر العقاب من الله تعالى على هذين الذنبين . وفى هذا القدر من التنبيه على ما ينبغى كفاية لمن كان ذا بصيرة ولبّ نير فتذكره بكرة كل يوم ومساءه واحفظه ولا تنساه والله أعلم » .

ومن الأدوية المركبة التى ذكرها (منهاج الدكان) الجلاب وهو الأشربة السكرية مثل شراب الورد وشراب دينارى . ومثات الأشربة والمربيات والربوب ، وهذه الأخيرة عصير الفاكهة المركز دون إضافة سكر والجوارشنات لهضم الطعام والسفوف والأقراص والحبوب واللعوقات والترياق والأياارجات والأكحال والأشيافات لعلاج العيون والمراهم للجروح والقروح . وأدهان لزينة الوجه والبخورات والفتائل المسهلة والقابضة والضمادات والجبارات والسعوطات والنفوخات . وفى هذا المنهاج ثبت حسب الحروف الهجائية للأدوية البديلة عند تعذر الأدوية الأصيلة وكيفية فحص العقاقير ومركباتها والتأكد من عدم غشها والذى يقوم المفتشون بالتفتيش عليها . وأعمار الأدوية وكيفية حفظها دون تلف .

وكتاب شعبى ثالث اسمه (الرحمة فى الطب والحكمة) ومما جاء فيه من وصف الأعشاب والتركيبات واستعمالاتها ، وهذه من بين آلاف الوصفات كنموذج لها :

(الثوم) : « قال بقراط الحكيم شفاء للناس من السموم وهو حار يابس حريف إذا أكل مع العسل على الريق قطع البلغم والرطوبات

الفاسدة من الجوف وقوى المعدة وقتل الدود المتولد من العفونات . وأذهب البواسير وطيب النكهة وحلل الريح المنعقدة وإذا سحق مع ملح الطعام وضمد به البواسير الرطبة حللها وقطعها . وإن ضمد به نهش الأفاعى والحيات وعض الكلاب والوحوش وكل شىء له سم يسرى فى البدن قطعه وسكن الوجع وكان سبباً للعافية والله أعلم بغيبه وأحكم »

(الصبر) : « الصبر معتدل الرطوبة يدخل مع كل دواء ومرهم بطبيعته وهو أمان للجوف من جميع العلل إذا أدخل مع المعاجين والسفوفات . . . »

(الحلبة) : « إذا طبخت وشربت لانت العروق والمفاصل اليابسة وأطلقت عسر البول وفتتت الحصاة وتولد منها غذاء جيد . وفى حديث غريب : لو يعلم الناس ما فى الحلبة لاشتروها ولو بوزنها ذهباً . . »

(الكندر) : « وهو اللبان الذكر يقطع البلغم وينفع فى السعال . . »

(يزر قطونه) بارد رطب إذا نقع مع السكر فى ماء بارد وماء ورد وعصر وشرب ماؤه سكن الحرارة التى فى الجوف . وإذا نقع فى الخل وحده ساعة ودهن به الأورام والدمامل خف الورم وسكن الألم » .

(وصفة لصبغ الشعر) : « تأخذ حناء مطبوخة وتضربها بالماء حتى يصير رقيقاً . ثم تأخذ من العنب الأسود إن أمكنك وتجعل الماء والحناء فى إنبيق وتصعده وتأخذ ما يقطر منه فيخضب به الشعر الأبيض ثلاثة أيام متوالية فإنه يسود الشعر » .

وبالكتاب علاجات عديدة للصداع وأوجاع العين وضعف البصر وعلاج قروح الرأس وكحل للعين ولنمش الوجه (يطلى الوجه بماء البصل) والخل ونفعه أيضاً فى البهاق والبرص . وعلاج زكام الأنف وقروح الفم وتشقق الشفتين وعلاج الأسنان وتبييضها . وبحة الصوت ووصفة طبية لها وهذه هى :

« خذ جزء فلفل ودار فافل والجلجلان مثلهم لا تفعل »
« وقاع قلة لهـــا مثيل تبرى الأذى ويصلح العليل »
« وجوزة الطيب على البيان وجوزة شرك إليه ثانى »
« لسان عصفور كذا فضفه لأنه من شكلهم فاعرفه »
« واجمعهم جمعاً بسحق ناعم حتى يصير كالرماد الفاحم »

وعلاج داء الثعلبة فى الشعر والبهاق وأوجاع الظهر والمفاصل وضيق النفس وعلاج الحروق من النار أو الشمس وعلل الكبد والكلى والطحال وطرق الفصد والحجامة وحصى المثانة والبول الدموى والصديد وعلاج البواسير . وبينما يعالج أكثر الأمراض بالعقاقير فهو يستعمل السحر والتعاويذ كما أنه يذكر صناعات كيماوية مثل صناعة الحبر الأحمر والأخضر والأزرق والصبغات واستخراج الزيوت الغذائية والعطرية من النباتات وبذورها وزهورها وأوراقها وكيفية دبغ الجلود .